الصنف الخامس والعشرون الهزل الذي يراد به الجد

إذا أما تعني أنك تفاخر أقبل مدة عرد أكيف الكلك الكتب ه

الصنف السادس والعشرون التنبيه

وهو أن يطلق كلاما فيه للانتقاد متتبع تنبيه ما يصلح دلالة على انتقاده كقول هو الذيب أو للذيب أو في أمانيه وما منها إلا أن أحوذ ه كأنه لما قال أو للذيب أو في أمانيه تنبه على قول قائل وأي أمانيه للذيب فقال ستبدو كما وما منها إلا أن أحوذ ه

ومنه قول الآخر

وقد أعيدت لمجد ثان حضنا لو أن المرء نفعه العقول ه كأنه قيل وهل يمنع من الجريان حضن فقال في ذلك بقوله لو أن المرء نفعه العقول ه

وقال الآخر

إذا ما جئت إلى رفعة حللت المدينة منه بدلا ه وإن المدينة من رفعة ولكن أقل قليلا ه

تنبيه يعني أن هم أن يسمى القرآن على الوقف ومن ثم شاع أن يقابل المرفوع بالمجرور وبالمنصوب وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون من ذلك قوله تعالى إنا خلقناهم من طين لازب مع تقدم قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب ومنه ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت ه ولو اضطرت الكلمة الجزء لفوت التجنيس

وأما اللواحق

وهي بيان الجهة التي يحصل بها البلاغة والإعجاز في القرآن لما تضمنت ترجمة هذا الكتاب أن تعلم البيان تطلع على إعجاز القرآن استدعى ذلك أن يكشف الغطاء على الجهة التي كان القرآن بها معجزا فنقول الكلام إما أن تعتبر بالتشبيه إلى ذاته أو إلى عوارضه من إعراب والتأليف أو إلى مدلوله أو إلى المجموع أو إلى أمر خارج من ذلك

ولنقدم

قبل البحث في ذلك مقدمة وهو أنه لا يجوز التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي ولا يحسن فعل القائع لمثله إلى فيه صنعة خاصة إلا إذا قادرا على أن تصنع مثله لا بعد أن تمكنه من الجهة التي وقع الخاطب بها ولو اعتبار ذلك لامكن كل صانع أن يدعي عجز أهل صنعته أن يأتوا بمثلها إلى وإن قل ذكره في عباد الصناع

إذا عرفت هذه المقدمة

عدنا إلى بيان الجهة التي كان بها القرآن معجزا فنقول لا يخلو إحتمال هذه الجهة في الأقسام المتقدمة

أما القسم الأول

وهو أن يكون العجز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فباطل لأن العرب كانوا يأتون بمثل هذه الكلمات ضعيفهم وكبيرهم وحقيرهم

فإن قلت

من جائز أن يكون قد حدث في حروف الكلمات وأصدائها أوصاف

لم تكن قبل نزول

لم تكن قبل نزول القرآن وأن يكون تجدد في معنى الحمد والرب والعالمين والملك واليوم والدين وهلم جرا أمور عجيبة يفهمها السامع ولا يقدرون أن يأتي بمثلها كما يفهم طلب التيمم الذي عرض لصدي الصوف مع عجزه أن يأتي بمثله

قلت

دعوى ذلك شبيهة بدعوى القائل إنه بنى قد حصل فيها من صفات العلم بالهندسة والحساب ودقائق العلوم ما يعجز عنه المشهورون بذلك ولو كان شيء أبعد من المستحيل لكان هذا

وأما القسم الثاني

وهو أن يكون الإعجاز وقع بالتشبيه إلى العوارض من الإعراب والتأليف فقط فخرج إلى ما تعاطاه متيلة من الحاقة في إثبات الخواص فقيل لن تبلغ وهاجز أن تأتي بما هو الكافرون وكقوله والطاحنات طحنا ولو كان الإعجاز راجعا إلى الإعراب والتأليف المجرد لم يحتج غيرهم أن يؤلف ألفاظا يعربها فصلا عن كونهم ولما قالوا أن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ولما قال ابن مسعود إذا وجدت في القرآن في رمضان ذات أتاتو فيهن أي تبيع مجالس لهن لم تعلم ذلك من أجل أوزان الكلمات ولا من أجل إعرابها ولا من أجل الفواصل في أواخر الآيات ولا من أجل التأليف فقط ولما وازن نوابس قوله تعالى كم في القصاص حيوة مع قولهم القتل أنفى للقتل بل ذلك راجع إلى قدر النظم وإن يأكد القائلة

وأما القسم الثالث

وهو أن يعجز بالتشبيه إلى المعاني فقط فغير مستقيم وإن المعاني ليست من صنع البشر وليس لهم قدرة على إظهارها من غير ما يدل عليها ولو وقع الإعجاز بالتشبيه إلى المعاني فقط لأمكنهم أن يقولوا قد قلنا مثل ذلك ولكن لم ينقل لنا ما يدل عليه وإذا عادلك ليس ممتنع على كل أحد والتكذيب لا يتسدد له كيف وحاصل ذلك إلى أمر وجداني إذ عواجزه لا تفهم كأذهانهم إذ ذاك جوعهم والهم

وأما القسم الخامس

فباطل أيضا وإن كان قد زعم قوم أن العرب إنما كان لصرفهم عن المعارضة لأنه معجز في نفسه وإن كانوا قد سلموا أن فصاحته راجعة إلى القسم الرابع على ما تبين وإن العرب صرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله ولو كان كان عمو الكان حالهم حال من عدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر كان في وسعه وإذ ذاك ينبغي أن لا يعظم وأعينهم وأن لا يكبر عندهم إذا كانوا منه على طريق مجيء بل يكون أعظامهم خليقا بتغير حالهم وشدة باب كانوا من الوجه على القدر لا ينبغي أن يتفاوت الإعجاز إذ ذاك إلى القرآن وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا دال على عجزهم مع تقادرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لنزله منزلة اجتماع الموتى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)